@ 859 @ لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول ا إليكم فلما زاغوا أزاغ ا قلوبهم وا لا يهدي القوم الفاسقين) ^ أي : ^ (وإذ قال موسى لقومه) ^ موبخا لهم على صنيعهم ، ومقرعا لهم على أذيته ، وهم يعلمون أنه رسول ا : ^ (لم تؤذونني) ^ بالأقوال والأفعال ^ (وقد تعلمون أني رسول ا إليكم) ^ . والرسول من حقه الإكرام والإعظام ، والقيام بأوامره ، والابتدار لحكمه . وأما أذية الرسول الذي إحسانه إلى الخلق ، فوق كل إحسان ، بعد إحسان ا ، ففي غاية الوقاحة والجراءة ، والزيغ عن الصراط المستقيم ، الذي قد علموه وتركوه ، ولهذا قال : ^ (فلما زاغوا) ^ ، أي : انصرفوا عن الحق بقصدهم ^ (أزاغ ا قلوبهم) ^ عقوبة لهم على زيغهم ، الذي اختاروه لأنفسهم ، ورضوه لها ، ولم يوفقهم ا للهدى ، لأنهم لا يليق بهم الخير ، ولا يصلحون إلا للشر . ^ (وا لا يهدي القوم الفاسقين) ^ ، أي : الذين لم يزل الفسق وصفا لهم ، ليس لهم قصد في الهدى . وهذه الآية الكريمة ، تفيد أن إضلال ا لعبيده ، ليس ظلما منه ، ولا حجة لهم عليه ، وإنما ذلك بسبب منهم ، فإنهم الذي أغلقوا على أنفسهم باب الهدى بعد ما عرفوه ، فيجازيهم بعد ذلك بالإضلال والزيغ وتقليب القلوب ، عقوبة لهم وعدلا منه بهم ، كما قال تعالى : ^ (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون) ^ . ^ (وإذ قال عيسى ابن مريم يبني إسرائيل إني رسول ا إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا ه ذا سحر مبين * ومن أظلم ممن افترى على ا الكذب وهو يدعى إلى الإسلام وا لا يهدي القوم الظالمين * يريدون ليطفئوا نور ا بأفواههم وا متم نوره ولو كره الكافرون * هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) ^ يقول تعالى مخبرا عن عناد بني إسرائيل المتقدمين ، الذي دعاهم عيسى ابن مريم ، وقال لهم : ^ (يا بني إسرائيل إني رسول ا إليكم) ^ ، أي : أرسلني ا لأدعوكم إلى الخير ، وأنهاكم عن الشر ، وأيدني بالبراهين الظاهرة ، ومما يدل على صدقي ، كوني ^ (مصدقا لما بين يدي من التوراة) ^ ، أي : جئت بما جاء به موسى من التوراة ، والشرائع السماوية . ولو كانت مدعيا للنبوة ، غير صادق في دعواي ، لجئت بغير ما جاء به المرسلون ، ومصدقا لما بين يدي من التوراة أيضا ، أنها أخبرت بي وبشرت ، فجئت وبعثت مصدقا لها ^ (ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) ^ ، وهو : محمد بن عبد ا بن عبد المطلب الهاشمي . فعيسى عليه الصلاة والسلام كسائر الأنبياء ، يصدق بالنبي السابق ، ويبشر بالنبي اللاحق ، بخلاف الكذابين ،

فإنهم يناقضون الأنبياء أشد مناقضة ، ويخالفونهم في الأوصاف والأخلاق ، والأمر والنهي . ^ (فلما جاءهم) ^ محمد صلى ا عليه وسلم الذي بشر به عيسى ^ (بالبينات) ^ ، أي : الأدلة الواضحة ، الدالة على أنه هو ، وأنه رسول ا حقا . ^ (قالوا) ^ معاندين للحق مكذبين له : ^ (هذا سحر مبين) ^ ، وهذا من أعجب العجائب . الرسول الذي قد وضحت رسالته ، وصارت أبين من شمس النهار ، يجعل ساحرا بينا سحره ، فهل في الخذلان أعظم من هذا ؟ وهل في الافتراء أبلغ من هذا الافتراء ، الذي نفى عنه ما كان معلوما من رسالته وأثبت له ما كان أبعد الناس عنه ؟ ^ (ومن أظلم ممن افترى على ا الكذب) ^ بهذا أو غيره ، والحال أنه لا عذر له ، وقد انقطعت حجته ، لأنه ^ (يدعى إلى الإسلام) ^ ، وتبين له براهينه وبيناته . ^ (وا لا يهدي القوم الظالمين) ^ الذين لا يزالون على ظلمهم مستقيمين ، لا تردهم عنه موعظة ، ولا يزجرهم بيان ولا برهان . خصوصا هؤلاء الظلمة القائمين بمقابلة الحق ليردوه ، ولينصروا الباطل ، ولهذا قال عنهم : ^ (يريدون ليطفئوا نور ا بأفواههم) ^ ، أي : بما يصدر منهم من المقالات الفاسدة ، التي يردون بها الحق ، وهي لا حقيقة لها ، بل تزيد البصير معرفة بما هم عليه من الباطل . ^ (وا متم نوره ولو كره الكافرون) ^ ، أي : قد تكفل ا بنصر دينه ، وإتمام الحق ، الذي أرسل به رسله ، وإظهار نوره في سائر الأقطار ، ولو كره الكافرون ، وبذلوا بسبب كراهته كل ما قدروا عليه ، مما يتوصلون به إلى إطفاء نور ا ، فإنهم مغلوبون . ومثلهم كمثل من ينفخ عين